

حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾ وَ: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ﴿٢﴾ بلاءٌ وزلزالاً من هجمة لا قبل لها من الأحزاب، وزلزالاً علّها أشد هي من هجمة الدعاية المنافقة: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وآية البقرة تصريحاً بوعده البلاء والزلال الشديد فهم يترقبونه، وتلميحة بقریب النصر علّه مع الزلال أمّاهيه؟

وكما كان الرسول ﷺ - على ضوء وعد الله - وعدهم بتظاهر الأحزاب عليهم وإن الله ينصرهم ﴿٣﴾ ولكن متى نصر الله؟ هل هو في هذه الحرب؟ أم بعده؟ أم ودون حرب حارقة؟ ليس في وعدهم إلا ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ﴿٤﴾!

ورغم أن هذه الزلازل بطبيعة الحال تزلزل من الإيمان أم تزيله، ولكنهم ﴿وَمَا رَأَوْهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ إيماناً بالله حيث يرون وعده واقعاً، وتسليماً لأمر الله حتى وإن كان فيه بتسليم أنفسهم، فإنهم ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم دوماً في انتظار الانتصار وسواءً عليهم أيقتلون أو يقتلون!:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾: بعضاً قليلاً لا كلّهم حيث الإيمان درجات، وفي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١١.

(٣) نور الثقلين ٤: ٢٥٣، القمي في حديث غزوة الخندق «وقد كان رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن العرب تتحزب علي ويجيئون من فوق وتعذر اليهود ونخافهم من أسفل وأنه يصيبهم جهد شديد ولكن يكون العاقبة لي عليهم...».

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

هذا العرض ينضم المؤمنون غير الصادقين في عهدهم إلى قبيل المنافقين توسعاً فيهم وتضييقاً في قبيل المؤمنين ثم لا يبقى إلا الكافرون!

وهذه صورة وضيفة من الإيمان الصادق تقابل صورة وضيفة من ضعف الإيمان تلحق النفاق فتندمج إليه وكما مضت ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ وليتسابق المؤمنون في الحصول على صورته الوضيفة الصادقة. ومواصفة هؤلاء المؤمنين في أول المطاف بـ : «رجال» تأتي لهم بصورة صارمة من رجولات وبطولات في إيمانهم، فليست تعني رجولة الجنس فتخرج بها نساءً هنَّ أرجل من رجال كما الصديقة الطاهرة الزهراء سلام الله عليها.

فـ ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ... رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ تَحْرَهُ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾... (١) و«ليبت علي وفاطمة من أفاضلها» على حد قول الرسول ﷺ فهي إذاً من هؤلاء الرجال، في رجولة العصمة القمة وتطلباتها: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحْتَوَى أَنْ يَنْظَهُرُوا﴾ (٢)

وهكذا رجال الأعراف: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسْمَتِهِمْ... وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَتِهِمْ﴾ (٣) كما رجال الجنة إذ ليس كل أصحاب الجنة رجال الجنس: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (٤) أَخَذَتْهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٥) اللهم إلا رجال الوحي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ (٥) فإن رجولة الجنس من شروط

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٤٦-٤٨.

(٤) سورة ص، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

وحي الرسالة آمن يقابلون النساء: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ...﴾ (١).
﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ (٢).

﴿... رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: عاهدوه صدقاً وأتوا بما عاهدوه صدقاً بكل ما لديهم من طاقات وإمكانات: قالاً وحالاً وفعالاً، نفساً ومالاً وعلى أية حال ما وجدوا له مجالاً، فما هو ما عاهدوا الله عليه؟ المعاهدة - وهي عهد بين اثنين، فالبادئ معاهد والثاني معاهد عليه - هي قد تكون من الله أن يعاهدك الله على شيء وأنت تقبل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَحْيَىٰ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (٣)... وأخرى أنت تعاهد الله على ما عهد إليك، ومعاهدة الآية هي الأخرى ﴿عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وأول العهود الإلهية إلى المؤمنين أن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والمؤمنون كلهم يعاهدون الله على ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فمنهم الصادقون، حيث يعيشون كلمة التوحيد قالاً وحالاً وأعمالاً، دون أي نفاق بين حال وقال، ولا بينهما وبين الأعمال، وقد صدقوا في عهد التوحيد تسليماً لله على أية حال.

ومن خلفيات هذه المعاهدة، مبايعة الرسول ﴿إِنَّ الَّذِيكَ يُبَايِعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن تَكَثَّ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤) فالمبايعون الموفون بعهد الله هم الصادقون ولهم الأجر العظيم، والناكثون لعهدهم هم من المنافقين مهما كانوا من المؤمنين، حيث النفاق دركات كما الإيمان درجات، وآية الأحزاب تقابل بين الذين ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وبين المنافقين، فليكونوا أعم ممن هو في الدرك الأسفل من النار ومن ضعفاء الإيمان.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ٥٥.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠.

وقد اشترى الله المبايعين الصادقين بأنفسهم ونفائسهم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) وهنا الإيفاء بعهد الله وهو بصيغة أخرى قضاء للنحب، لا يختص بأن يقتل المؤمن في سبيل الله، بل وأن يقتل، قُتل بعد أم لم يقتل.

وكما ليس هؤلاء المؤمنون الصادقون هم الأولون - فقط - كذلك المبايعون الله الذين اشترى أنفسهم وأموالهم، فطول الزمان وعرض المكان يحوي من هؤلاء من قد يفوق الأولين أم يساميههم: ^(٢).

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾... وليس قضاء النحب - فقط

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) يروى نزول الآية بشأن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ كأنس بن نضر وأصحابه ففي الدر المنثور ٥: ١٩٠ - أخرج ابن سعد وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي والبغوي في معجمه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن نضر عن بدر فشق عليه وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ فيما بعد ليرين الله ما أصنع فشهد يوم أحد فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا أبا عمر! وإلى أين؟ قال: واهاً لريح الجنة أجدها دون أحد فقال حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ونزلت هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا﴾... ﴿[الأحراب: ٢٣]﴾ وكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه، ومنهم مصعب بن عمير كما أخرج الحاكم وصححه وتعبه الذهبي في الدلائل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾... ﴿[الأحراب: ٢٣]﴾ ثم قال رضي الله عنه: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا وردوا عليه، وفي ملحقات الإحقاق ٣: ٣٦٣ روى نزول الآية في علي رضي الله عنه عدة من أعلام القوم منهم ابن الصباغ في الفصول المهمة ١١٣ قبل سئل علي رضي الله عنه وهو على المنبر عن الآية قال: في وفي عمر وحمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه يوم أحد وأما أنا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذا وأشار إلى لحيته ورأسه عهد عهده إلي حبيبي أبي القاسم رضي الله عنه.

- الموت، فصيعته الخاصة منهم من قتل أو مات، وهما من مصاديق قضاء النحب في سبيل الله فقضاء النحب فيما عاهدوا الله عليه ليس إلا أن يعيشوا ملتزمين بعهده في كافة الحقول، ومن أفضلها الجهاد في سبيل الله بأنفسهم ثم بأموالهم، ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(١) ما وجدوا للجهاد ظروفاً صالحة، ثم ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ قضاء نحبه ليس - فقط - انتظاراً للشهادة حيث الانتظار لها - فقط - ليس انتصاراً لقضية الإيمان، بل هو الانتصار لظرف يقضي فيه نحبه أن «يُقْتَلَ أو يُقْتَلَ» في سبيل الله: إحدى الحسينين!

فقد يعني «نحبه»: عهده ومراهنته إذا وجد له مكانه ومكانته، قتالاً: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ أمّا ذا من جهاد في سبيل الله بنفس ونفيس إذ يقدم رخصاً دون بخس ونقص ما وجد له مجالاً!

ومن ثم يوفون كل معاني النحب، المرافقة للعهد: نذراً وهمّة وبرهاناً وحاجة وشدة وأجلاً ومدة وعملاً ونفساً وسيراً سريعاً وجهاداً^(٢) تكريساً لهممهم وبراهينهم في كل شدة وعمل من سير سريع وجهاد ليقضوا حاجتهم من عهدهم ربهم ما دامت مدتهم وقام أجلهم، في نفس ونفيس بكل غال ورخيص!

فهم بين من قضى نحبه تماماً ما وجب عليه فيما عاهد عليه الله إن بالموت أو القتل أم في حياة ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ فرصة مناسبة لقضاء نحبه بموت أو قتل أم في حياة، فلا تختص قضاء النحب بقتل في سبيل الله مهما كان من أعلاها، فكل تضحية في سبيل الله كما تجب قضاءً لنحبٍ أيّاً كانت! وكما يروى^(٣) فلا يعني قضاء النحب إلا توفية العهد وهي للمعصومين ومن

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) لسان العرب لابن منظور الإفريقي.

(٣) نور الثقلين ٤: ٢٥٨ ح ٤٨ عن روضة الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لأبي بصير: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في =

معهم حاصلة قبل الموت أو القتل أو بهما، يعيشون قضاء نحبهم على أية حال!

﴿وَمَا بَدَلُوا﴾ ما عاهدوا الله عليه «تبديلاً» لا من قضى نحبه حين قضى ولا من ينتظر، وإنما كملوا تكميلاً، ومن الحكمة الحكيمة لذلك الابتلاء المثلث: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٢ - ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

= كتابه فقال: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾ [الأحزاب: ٢٣] إنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وإنكم لم تبدلوا بنا غيرنا وفي أصول الكافي (٥٨) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله عليه السلام ووفى بشرطه وذلك قول الله عليه السلام: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾ [الأحزاب: ٢٣] وذلك الذي لا يصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة وذلك من يشفع ولا يشفع له ومؤمن كخامة الزرع - يعوج أحياناً ويقوم أحياناً فذلك ممن يصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة وذلك ممن يشفع له ولا يشفع. أقول: ولأن أفضل ما عاهدوا الله عليه هو القتل أو الموت في سبيل الله توفية كاملة للعهد فقد وردت روايات أخرى في أن قضاء النحب هو الموت أو القتل كما رواه في روضته الكافي (٤٩) عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: «يا علي من أحبك ثم مات فقد قضى نحبه ومن أحبك ولم يموت فهو ينتظر». وفي كتاب الخصال (٥٠) عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام: ولقد كنت عاهدت الله تعالى ورسوله أنا وعمي حمزة وأخي جعفر وابن عمي عبيدة على أمر وفينا به الله تعالى ولرسوله ﷺ فتقدمني أصحابي وتخلفت بعدهم لما أراد الله تعالى فأنزل الله فينا ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾ [الأحزاب: ٢٣] حمزة وجعفر وعبيدة وأنا والله المنتظر يا أخا اليهود وما بدلت تبديلاً، وفي إرشاد المفيد (٥٠) في مقتل الحسين عليه السلام أن الحسين عليه السلام مشى إلى مسلم بن عوسجة لما صرع فإذا به رمق فقال: رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] وفي كتاب مقتل الحسين لأبي مخنف أن الحسين لما أخبر بقتل رسوله عبد الله بن يقطر تغرغرت عينه بالدموع وفاضت على خديه ثم قال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ...﴾ وفي مناقب ابن شهر آشوب (٥٧) أن أصحاب الحسين بكرلاء كانوا كل من أراد الخروج ودّع الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يا بن رسول الله ﷺ فيحييه: وعليك السلام ونحن خلفك وقرأ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ...﴾.

﴿وَيُعَذِّبُ﴾... معلوم وهو قضية النفاق، بل ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١) فكيف ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾؟

﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ لو تابوا وصحت توبتهم ونصحت، ولا سيما قرنائهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾^(٢) حيث قرنوا بـ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ فإنهم ذبولهم وليسوا منهم مردة النفاق ومرجفة المدينة، بل المستجيون لهم في دعاياتهم لضعف إيمانهم، فعلّهم هم المعنيون بـ ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

فآية ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾... جعلت غير الصادقين في إيمانهم منافقين أصولاً واتباعاً، ثم فرقت آية الجزاء بينهما ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ كَانَ عَفْوَاً رَّحِيماً﴾.

٣ - ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: قتلة ولا غلبة ولا غنمة بل ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ فلم يقاتلوا إلا شذراً بما قتل أمير المؤمنين عمرو بن عبد ود ونفراً آخرين^(٣) ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٤) ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزًا﴾ وهذا نصيب الكفار ثم:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٣) في ملحقات الإحقاق ٣: ٣٧٦ روى نزول الآية في علي عليه السلام عدة من أعلام القوم منهم العلامة الكنجي في كفاية الطالب (١١٠) وأبو حيان الأندلس المغربي في البحر المحيط ٧: ٢٤ وملاً معين الكاشفي في معارج النبوة ١: ١٦٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣: ١٩٢ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٥٥ والحافظ أبو بكر بن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة (٩٣) والألوسي في روح المعاني ٢١: ١٥٦ والقندوزي في ينابيع المودة ٩٤ وأبو نعيم الحافظ كلهم عن ابن مسعود كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام وساق قصة عمرو بن عبد ود كما فصلناه.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٩.

الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ :

المظاهرة هي المعاونة، والصياصي جمع صيصية وهي الحصن الحصين، وقد «أنزل» الله ﴿الَّذِينَ ظَلَهُرُوهُمْ﴾ المشركين ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم بنو قريظة، أنزلهم من صياصيتهم وحصونهم، وقذف في قلوبهم الرعب، فلا صياصي لهم آفاقية، ولا صياصي أنفسهم حيث أنزلهم الله من كل الصياصي.

فأنتج عن ذلك الإنزال أنكم ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ من المنزلين ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.

ثم ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ وطئتموها، بل ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوْهَا﴾ وهي أرض خيبر، أو التي أفاء الله على رسوله منهم مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

وقد يعني ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ كل أرض يرثها المسلمون منهم على طول خطوط النار، في جهادهم المتواصل الصارم! ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.



﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ وَأَسْرِحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ
ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ
النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَفَرَنْ فِي بَيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ
اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ
وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِظِينَ وَالْخَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

هذه الآيات الثمان تستعرض بُعدين وجانبين من بيت النبي الطاهر، بيت
الرسول: أزواجه، وبيت الرسالة: المحمديين المعصومين في جو الرسالة

القدسية الختمية، اختصاراً باختصار في عرض بيت الرسالة والتعريف به : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١) في جمعين مذكرين يعنيان الذُّكران من أهل بيت الرسالة بمن فيهم فاطمة الصديقة عليها السلام ، وذلك بعد عشرين خطاباً في جموع مؤنثة قبله واثنين بعده كلها تعني - فقط - نساء النبي ﷺ في أوامر ونواهي أكيدة شديدة متهددة ومرغبة، ولكي تجمع إلى طهارة أهل بيت الرسالة - وهي القمة بين بيوتات الرسالات - تجمع طهارة أهل بيت الرسول ﷺ ، ثم الآية الثامنة تعميم لأجور المؤمنات حسب الدرجات سواءً أكن من أزواج النبي أم سواهن ولكي تبين ألا ميّزة لزوجية النبي بمفردها ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾^(٢) .

مضت آية الأمهات مصرحة أنهن أمهات المؤمنين، ولأن هذه الكرامة لها تكاليفها، ولزوجية النبي ﷺ تكلفاتها الوقائية، لذلك يُخاطبن في اثنين وعشرين خطاباً صارماً تختص بهن ليصنعن من أنفسهن أهلية زوجية النبي ﷺ وأمومة المؤمنين .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾^(٢٨) :

هنا نساء النبي يخاطبن بوسيط النبي ﷺ علّه لُبُعدهن عن ساحة الربوبية وإلا فلماذا إرادة الحياة الدنيا في بيت الرسالة القدسية، ثم المأمور بأمرهن هو وليهن في بُعدي الرسالة والزوجية .

ثم ولقربهن شيئاً ما إذ يتركن الحياة الدنيا وزينتها، ولتقريهن إلى ساحة الطاعة لكي يَهَبن الله إذ يخاطبهن الله، يخاطبن دون وسيط إلا نقلاً لهن

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.